الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

# حجاجيةالتمثيل في الحديث النبوي الشريف وأثره في تقريب المعنى (نماذج مختارة)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات عامة

إعـــداد الطـالبات:
- إسلام بسوس
- راضية كروش
- عفاف مسعودي
- منال دقعة

إشراف الأستـاذ:
د. محمد العربي خضير

الموسم الجامعي:
1444- 1445هـ /2023- 2024م

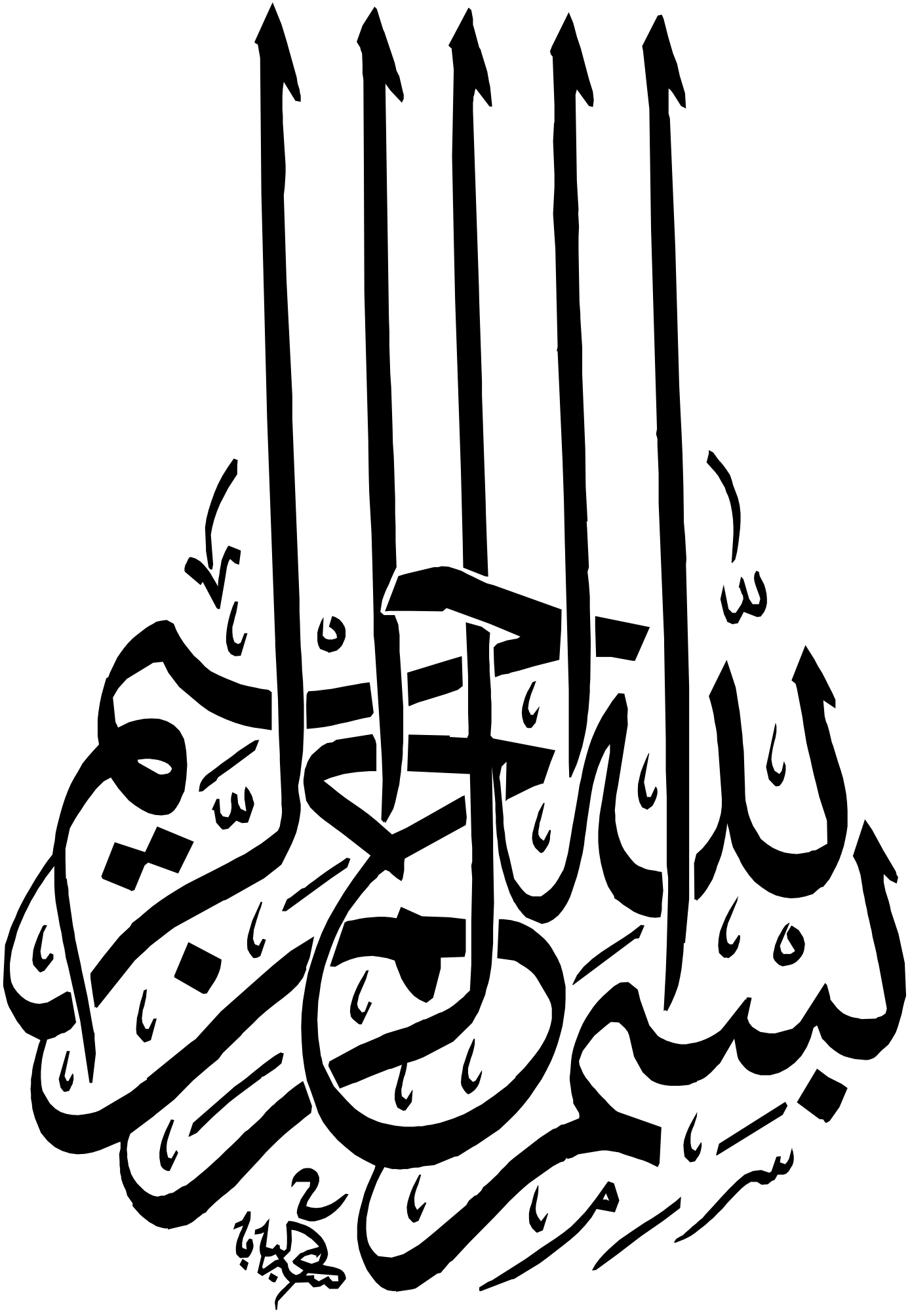
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعـــالى:

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِي مَالَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

آل عمران: الآية 66.

# شـــــكر وعرفـــان

نحمد الله الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع،

كما نشكر للأستاذ "خضير محمد العربي" إشرافه عليه،

والذي لم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات القيمة في الموضوع؛

فبارك الله فيه، وأمد الله في عمره لخدمة طلاب العلم.

كما نتقدم أيضا بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد،

خاصة القائمين على مكتبة الكلية جزاء التسهيلات سائلين المولى

عز وجل أن يجزيهم عنا وعن طلبة العلم خير الفضل والجزاء.

# إهـــــــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

أبي وأمي رعاهما الله وأطال في عمرهما،

وإلى سندي الذي حفزني في مواصلة دراستي "زوجي"،

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة

من قريب أو بعيد.

إسلام بسوس

# إهـــــــــــداء

"وآخر دعواهم أن الحمد الله رب العالمين"

أهدي وبكل حب نجاحي إلى نفسي التي تحملت العثرات والصعوبات.

وإلى من كان دعاؤها سرا من أسرار التفوق، وكانت لي نورا في

عتمتي "أمي الغالية"، أهديك هذا النجاح.

إلى من دعمني بلاحدود، ومنحني بلامقابل؛ "والدي العزيز".

وإلى من قال فيهم المولى: "سنشد عضدك بأخيك"؛ إخوتي وأخواتي

أدامكم الله سندا لي. إلى توأم روحي "حدّي" التي ساندتني في

مسيرتي.

رضية كروش

# إهـــــــــــداء

أهدي نجاحي هذا إلى من سكن قصور قلبي، قدوتي ونبراسي، ونور حياتي ؛ "أبي حبيبي"

إلى القلب النابض بالمحبة، قرة عيني ونور دربي،

من كانت دعواتها الصادقة من حوافز النجاح؛ "أمي غاليتي"

إلى سندي ومؤنسي، ومن تعلو به هامتي "زوجي العزيز" .

إلى بهجة حياتي، ومن لا يشبه روحها الجميلة أحد، إلى نجمة سمائي المتلألئة؛ أختي الحبيبة. إلى من أوجعني رحيلها، إلى من أفتقدها في كل حين، خاصة لحظات الفرح التي كانت تتمناها لي؛ "جدتي الغالية" .

عفاف مسعودي

# إهـــــــــــداء

أهدي ثمرات هذا النجاح إلى سندي ومنبع طموحي ، ورفيق دربي ؛

أبي "محمد كمال" .

إلى من صبرت وشجعت، وكانت بحب النجاح ملهمتي ؛ "أمي" .

إلى من رافقوا مسيرتي بالتشجيع الدائم؛ "أخواتي"

أهديكم جميعا ثمرات هذا النجاح، والله ولي التوفيق .

منال دقة

**الملخص:**

هدفت الدراسة إلى معرفة تجليات وحجاجية التمثيل في الحديث النبوي الشريف، وذلك بعد عرض المفاهيم والأسس النظرية المتعلقة بموضوع الحجاج ونشأته وأنواعه، ثم دراسة نماذج من أحاديث نبوية شريفة من خلال ثلاث أصناف من الحجاج؛ الحجاج اللغوي، الحجاج البياني، الحجاج المنطقي. وقد اعتمدنا المنهج الوصفي والتحليلي، وخلصنا في النتائج أن الحديث النبوي الشريف زاخر بأصناف الحجاج والتعليل في أمثاله، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم استثمر هذه الآليات الحجاجية في الإقناع وتبليغ تعاليم الإسلام.

**الكلمات المفتاحية:** الحجاج؛ التمثيل؛ المعنى؛ الحديث النبوي الشريف.

**Abstract**

The current study aimed to explore the manifestations and argumentative nature of representation in the Hadith of the Prophet Mohamed (peace be upon him). After presenting the concepts and theoretical foundations related to the topic of argumentation, its origins, and types, we examined examples of Hadiths through three categories of argumentation: linguistic, rhetorical, and logical argumentation. We used the descriptive and analytical method. We concluded that the Hadith of the Prophet is rich in various types of argumentation and reasoning in its examples. The Prophet (peace be upon him) effectively invested these argumentative mechanisms to persuade and convey the teachings of Islam.

**Keywords:** Argumentation, representation, meaning, Hadith of the Prophet (peace be upon him).

مقدمة

يعدّ الحجاج الاستراتيجية الأمثل التي يعتمدها المتكلم أو المرسل أيّ كان في إبلاغ مقاصد الخطاب، وإقناع المتلقي. ويتأسس الحجاج من ملفوظات لغوية، وروابط منطقية، وآليات بلاغية؛ فهو آلية تداولية للإقناع والتأثير. وترتبط درجة هذا الإقناع بمدى تحكم المتكلم في تلك الآليات؛ أي أنّه ينطلق من استراتيجية البناء المحكم للخطابة من حيث اللغة، ثم معرفة أحوال المخاطب، وسياق التواصل، واستثمار البيان، والتعبير عن المجردات بالمحسوسات، وهذا ما يتجلى أكثر في أسلوب التشبيه والتمثيل. كما يستخدم آليات منطقية تتجاوز البناء اللغوي والبياني للخطاب إلى جوانب تداولية وفلسفية.

ولا شك أن الحديث النبوي الشريف النموذج الأمثل في التواصل البشري، والذي استطاع النبي ﷺ من خلاله أن يربي ويطهر، ويغير وينشر دعوة الحق برفق ولين. وما كان ذلك ليكون، لولا أنه ﷺ أوتي بلاغة وفصاحة عالية، ودرجة رفيعة من الموهبة البلاغية واللغوية؛ فضلا عن تأثره ببلاغة القرآن الكريم. ومن جوانب هذه البلاغة، اهتمامه ﷺ بجانب الحجاج والإقناع؛ فهو يعتمد التشبيه والتمثيل، لذلك جاء موضوعنا في هذا السياق المعرفي من خلال دراسة نماذج من خطاب الحديث النبوي الشريف.

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى الأسباب والدوافع الآتية:

- رغبتنا الملحة في الاطلاع على الموضوع الحجاج ومدى تقريبه للمعنى في الخطابات.
- إبراز دور الحجاج في الحديث النبوي الشريف واستخدام النبي ﷺ له في الإقناع بالمقاصد الشرعية.
- قلة الدراسات في هذا المجال، خاصة فيما يتعلق بالحجاج النبوي الشريف.

وعلى هذا يمكن طرح الإشكالات الآتية:

- ما المقاصد الحجاجية للتمثيل في الحديث النبوي الشريف؟
- ما مفهوم الحجاج وآلياته وأدواته؟ وما دوره في الإقناع؟ وما علاقة الحجاج بالعلوم الأخرى؟
- ما مفهوم التمثيل؟ وما أغراضه البلاغية؟ وكيف تجلى في الحديث النبوي الشريف؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات، اتبعنا المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وذلك لدراسة المقاصد الحجاجية في الحديث النبوي الشريف؛ فمن خلال توظيفنا للمنهج الوصفي حاولنا الوقوف على آليات الحجاج وأنواعها وعلاقته بالعلوم الأخرى. أما عن المنهج التحليلي، فاعتمدناه في تحليل وشرح نماذج مختارة من أحاديث النبي ﷺ.

وبناء على هذا المنهج، قسمنا بحثنا وفق خطة تتكون من فصلين؛ أولهما النظري، والثاني تطبيقي، وقد سبقتهما مقدمة، وجمعنا خلاصتها بخاتمة للنتائج. فتناولنا في الفصل الأول مفهوم الحجاج ونشأته، أنواعه وآلياته، وكذلك علاقته بالعلوم الأخرى. في حين خصصنا الفصل الثاني للدراسة التطبيقية، وكان موسوما "**التمثيل في الحديث النبوي الشريف وأثره في أداء المعنى**"، وفيه حاولنا استخراج الحجاج اللغوي والبلاغي والمنطقي مع كل حديث نختاره.

أما بخصوص الدراسات السابقة في الموضوع فنذكر:

**الدراسة الأولى:** العوامل الحجاجية وروابطها في التمثيلات النبوية سنة 2019: سعت الدراسة إل الكشف عن الآليات اللغوية الكامنة في الخطاب اللغوي. وكان من نتائجها:

- براعة الرسول ﷺ في استثماره للتمثيل على أحدث تقنيات الحجاج.
- استعمال النبي ﷺ العوامل الحجاجية، خاصة الروابط قصد التبليغ والتأثير في المستمع.

**الدراسة الثانية:** موضع التمثيل من الحجاج في الحديث النبوي الشريف سنة 2018: يتناول هذا المقال الحديث عن التمثيل وعلاقته بالحجاج، ومدى تأثيره وإقناعيته في الخطابات بصفة عامة، وفي الحديث النبوي بصفة عامة. وكان من نتائج الدراسة:

- اعتماد النبي ﷺ على الوسائل الإقناعية هو عين الحجاج؛ فهي تزيد من التأثير قصد لفت انتباه المسلمين.
- استعانة النبي ﷺ بالرسم التوضيحي.
- من الوسائل الحجاجية التي يستخدمها النبي في التوضيح، الحركات والإيماءات.

وعن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا في الدراسة، فنذكر أهمها:

- ❖ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج.
- ❖ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوير العقلي.
- ❖ حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.
- ❖ صابر الحباشة، التداولية والحجاج.

وبالنسبة لصعوبات الدراسة، فلا يخلو أي بحث من مشاكل وصعوبات، خاصة جمع المصادر والمراجع التي قد يصعب الحصول عليها، أو لا يكفي للباحث الوقت للاطلاع عليها مع كثرة البحوث والامتحانات.

وفي الأخير، نأمل أن يكون بحثنا هذا قد حقق أهدافه، وأن يكون فكرة تضاف عليه بحوثا أخرى في بلاغة خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحسبنا ما اجتهدنا فيه، شاكرين لأستاذنا المشرف توجيهاته القيمة لنا.

# الفصل الأول:

# الحجاج مفاهيم عامة

1- تعريف الحجاج لغة واصطلاحا

2- نشأة مباحث الحجاج

3- الأدوات والآليات الحجاجية (أنواع الحجاج)

4- علاقة الحجاج بالعلوم الأخرى

## 1- تعريف الحجاج:

لكل إنسان أسلوب الخاص به، وآليات إقناعه وتأثيره في الغير، وعليها يبني أفكاره وأسلوبه، ومصدر حديثه لإقناع الآخر، وغلبته بالأدلة والبراهين، وهذا ما يصطلح عليه "بالحجاج". وقد أخذ موضوع الحجاج اهتماما كبيرًا لدى الباحثين والدارسين. ولنتمكن من التعرف على معناه بدقة لدى العلماء والباحثين، نسرد التعريفات الآتية:

### أ- الحجاج لغة:

بدايةً بابن فارس في كتابة مقاييس اللغة في مادة (ح ج ج)، عرَّفه كالآتي: "يُقَالُ حاججت، فلانا فحججتُه؛ أي غلبتُهُ بالحُجَّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة. والجمع حُجَج، والمصدر الحجاج"[1]. وعليه فإنّ تعريف الحجاج عند ابن فارس، يعني ما يدفع به الخصم وغلبته.

أمَّا ابن منظور، فيُعرّف الحجاج بأنَّه: "هو الحجاج والحَجَاجُ: العظم الحاء وكسرها، العظم الذي ينبت عليه منبت سعر الحاجب. والحجَاجُ الحجَاجُ بفتح الحاء وكسرها، العظم الذي ينبت عليه الحاجب، والجمع أَحُجَة"[2]. ومن أمثال العرب: "لج فحج، معناه لج، فغلب من لاجه بحججَه، يقال: حاججته أحاجُه حجاجًا ومُحاجة حتى حاججته؛ أي غلبتهُ بالحجج التي أدليت بها. وقيل: معنى قوله لج فحج؛ أي أنه لج وتمادى به لجاجُه، بلجاجه حتى خرج حاجًّا"[3]. ويقصد بذلك الغلبة بالحجة والبرهان مما يُدلي به الشخص عند الجدال لدفاع الخصم، وغلبة المحاجج.

وقد ورد في المعجم الوسيط: "حاجَّهُ، مُحاجَّةً، وحِجاجًا: جادله وفي التنزيل العزيز: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"[4].

وقد وردت مشتقات لفظة الحجاج في القرآن الكريم في أكثر من عشرين آية، منها على سبيل المثال:

---

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت، مج2، مادة (ح ج ج)، ص30.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003، مج2، ط1، مادة (ح ج ج). ص229.

[3]- ابن منظور، المصدر نفسه، ص228.

[4]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، (من الهمزة إلى آخر الظاء) المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ص156.

❖ قوله تعالى: "قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا في الله وَهُوَ رَبُّنَا وربُّكُمْ وَلَنَا أَعْمالُنَا ولَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ"[1].

❖ وقوله تعالى: "يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ في إبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[2].

❖ وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ في الله مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِبَ لَهُ حُجَّتُهُم دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ"[3].

يتضح جليا من خلال الآيات أن ذكر الحجاج مرتبط بدلالة لغوية تفيد الجدل وإتباع سبيل العناد في الاعتراف بالحقيقة أو الحجة الواضحة، حتى وإن وجد البرهان في الرد على المزاعم الباطلة، لآجل ذلك توعدهم الله تعالى بالعقاب المحتوم، فقد خاطبهم بصيغ جاءت بعد تقديم الحجة التي تنطوي في مقام البرهان.

ويدل هذا في المحصلة، أن الحجاج في اللغة معناه المجادلة والمخاصمة، ودفع المناقش بالحجة والدليل والبرهان. وكل هذا له علاقة بالرسائل التواصلية بين المرسل والمرسل إليه.

**ب- الحجاج اصطلاحا:**

أما الحجاج من الناحية الاصطلاحية، فتعددت تعريفه واختلفت:

فنجد أبو بكر العزاوي يعرفه قائلا: "وهو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب؛ وبعبارة أخرى، يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها وهو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[4]. ويعني بتعريفه للحجاج أنه الأخذ بالحديث والأقوال والتمثيل لإثبات الموقف، سواء من الأدلة والبراهين، أو ما نستنتج منها.

وموضوع الحجاج حسب بيرلمان شأنه أن تؤدي: "هو درس تقنيات الخطاب التي من إلى الأذهان التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"[5].

---

[1]- سورة البقرة، آية: 139.

[2]- سورة آل عمران، آية:65.

[3]- سورة الشورى، آية:16.

[4]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص16.

[5]- محمد سالم محمدا لأمين، الحجاج في البلاغة النقد المعاصر، دار الكتب الجديدة، بيروت، ط1، 2008، ص107.

ونقصد الاهتمام بدراسة فنون وتقنيات الحديث التي من خلاله تقوم على إثبات أو إنكار حكم معين. وفي موضع آخر من الكتاب، يبين الباحثان الغاية من الحجاج؛ فيقولان: "إنّ غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك في اللحظة المناسبة"[1].

فمن خلال التعريفين السابقين، يتبين أن الهدف من الحجاج ليس فقط الإقناع الفكري وتقبل العقل ما يطرح عليه؛ بل يهدف أيضا إلى الحث على الفعل، أو الاستعداد له.

عرف طه عبد الرحمان الحجاج: "بأنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له لاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها"[2].

"وهذا يشير إلى أن طبيعة الخطاب لا تتحدد فقط في العلاقة التخاطبية؛ بل إن للعلاقة الاستدلالية أيضا، دورا في ذلك؛ إذ لا خطاب بغير حجاج ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض"[3].

كما أن هناك تعريفا آخرا للحجاج: "وهو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة هو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي نستنتج منها أن كون اللغة لها وظيفة حجاجية، يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية من الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"[4].

---

[1]– حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، دت، ص299.

[2]– طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافة العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص226.

[3]– طه عبد الرحمان، نفس المصدر، ص231.

[4]– حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2010، ص57.

ويتضح جليا من خلال هذا التعريف، أن النص الحجاجي يعدّ خطابا لغويا بحتا باعتبار أن اللغة فيه ذات طابع حجاجي.

من خلال التعاريف السابقة، نستنتج أن الحجاج له عدة مصطلحات تصب في نفس المغزى، وهي التفاعل لإقناع والتنظيم للخطاب يوجه إلى الغير لإفهامهم، مع الاستدلال والبرهان. ونفهم من هذا، بأن الحجاج يظهر في أغلب الأحيان في شكل حوار.

**2- نشأة مباحث الحجاج:**

تعود الجذور الأولى في الدراسة الحجاجية إلى البيئة اليونانية، وتحديدا في صقلية في القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك خلال ما قدمه فلاسفة اليونان الذين تناولوا الكثير من الظواهر المرتبطة أساسا بالممارسة الحجاجية بإشكالها المختلفة؛ فالحجاج مر بالعديد من الانكسارات إلى أن أعيد انبعاثه من جديد في العصر الحديث.

كما "تعود نشأة الحجاج لقيام جيلون وهيرون بتهجير سكان صقلية الأصليين من موطنهم؛ حيث صادروا أراضيهم ثم ملكوها للمرتزقة الذين كانوا يعملون لحسابهما فنشبت بسبب ذلك نزاعات حول ملكية الأراضي، وتجنبا للمعارك، شكل أهالي صقلية محكمة مؤلفة من هيئات شعبية كبرى من المحلفين، وكي يدافع كل طرف عن حقه، ينبغي أن يتمتع بالفصاحة والقدرة على الخطابة والإقناع المحكمة بأحقيته بالملكية"[1].

أدى هذا إلى بزوغ نجم الخطابة وظهور الخطباء، مما دفع الناس إلى الإسراع في ترسيخ فنون وأساليب الإقناع لدى أبنائهم ليحولوا بدورهم أي فئة الخطباء إلى "**طبقة من المعلمين المتخصصين في تدريس هذا الفن لأبناء النبلاء والأغنياء**"[2]، حيث عرف هؤلاء الخطباء بالسفسطائيين؛ إذ عمد في ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على الفكرة النفعية المتعلقة باللذة، فهم لا يهيمون للنفع وتحقيق الخير؛ بل يسعون إلى إيهام الناس من خلال اعتمادهم أسلوب الالتباس اللغوي.

وعليه يمكننا القول: إن الحجاج عند السفسطائيين كان مبني على بلاغة القول بغية الوصول إلى تحقيق الأساليب الإقناعية وتوليد الأفكار من خلال المغالطات السفسطائية،

---

[1]- حامد ناصر الظالمي، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد73، سنة 2015، ص3.

[2]- حامد ناصر الظالمي، المرجع نفسه، ص3.

لكن ذلك لم يدم طويلا للسفسطائيين؛ فقد واجهوا ردودا عنيفة من سقراط؛ حيث خالفهم في حصرهم الخطابي في المؤسسة القضائية، إضافة إلى توسيع الخطاب الحجاجي واعتماد الاستدلال الاستقرائي.

أما أفلاطون، فقد اتبع خطى أستاذه سقراط؛ فنجده يصرح في محاولته المعروفة قورجياس: "إن القول الخطابي (السفسطائي) لا ينحصر في الجنس الخطابة، وإنما هو قول زئبقي يمكن له أن يتسلل ليحرر الخطابة من شرط تحديد الموضوع وهو قول إثباتي، غير جدلي لا يقوم على المساءلة يعقده صاحبه على الظن لا على العلم ويقصد به الإقناع، معتمدا في ذلك ما يوافق اللذة لذة السماع والقائل لا الخير؛ فالخطابة السفسطائية كما يبدو من محاورة قورجياس هي حجاج استهواء"[1]، "ويرتكز نقد يعدو كونه نتائج ظنية مبعثها الهوى واللذة، وهي أمور ومفاهيم ضارة بالقيم والأخلاق واليقين والإيمان، تلك الأربع التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة والأفلاطونية"[2].

واصل أرسطو الصراع مع السفسطائيين؛ حيث كشف أغاليطهم التي اعتمدوا عليها في بناء حجاجهم، وذلك من خلال نظريته المخالفة للسفسطائيين في كتابه (المواضع). أما كتابه (الخطابة)، فقد أرسى أسسا جديدة للخطابة تختلف كذلك عن تصورات كلا من أفلاطون والسفسطائيين.

ويمكن استخلاص مما سبق أن جهود الفلاسفة (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، قد تظافرت لبناء مشروع لبناء مشروع للحجاج بمختلف تصوراته وتجلياته بهدف تأمين المجتمع مما ابتدعه السفسطائيين من أفعال باطلة غير مؤسسة.

لم يقتصر الحجاج على الثقافة اليونانية، إنما تعدى ذلك إلى الشعوب العربية، فإذا كان الحجاج في التراث الغربي قد نشأ من المنازعات حول ملكية الأراضي، فإن الحجاج العربي يعود نشأته إلى الشعر العربي، والخطابة العربية في عصر ما قبل الإسلام، فلا تكاد تخلو كتب التراث العربي من تداول مصطلح الحِجاج، أو الاحتجاج، أو المحاجّة؛ فاستعمالاته

---

[1]– ينظر: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الأدب منوبة، تونس، دت، ص61.

[2]– ينظر: حمادي صمود، المرجع نفسه، ص56.

متعددة، وعلى سبيل المثال نجده في النحو، واللغة، والفلسفة، والبلاغة... إلخ وعليه يمكن القول إن الحجاج كان دعامة أساسية في الخطاب العربي.

وأول دراسته عربية تناولت موضوع الحِجَاج للباحث التونسي عبد الله أصولة سُمِيّت ب: "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية". وليس بغريب أيضا، أنّ الجاحظ تطرق للحجاج في كتابه المشهور "البيان والتبيين"؛ فالغاية المنشودة من هذا الكتاب، هي الخطاب الإقناعي الشفوي، "وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) تحدّد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال، وهذا الخطاب الإقناعي عنده لم يقتصر على جنس بعينه"[1]. ويربط أبو هلال العسكري الحجاج بالشعر؛ لأنّه الفن الأساس الذي تقام به الحجج، فحسبه فالشعر ينهض بوظيفة الجدل.

ثم تواصلت الجهود العربية عند المحدثين، وظهر اهتمامهم بالحجاج من خلال مقالتهم وكتبهم، ومن بينهم نجد الدكتور طه عبد الرحمان من خلال كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، أيضا أبو بكر العزاوي من خلال كتابه "اللغة والحجاج".

بناء على ما تقدم، يمكن أن نستخلص أن الدراسات العربية اهتمت بالحجاج وأولته عناية كبيرة باعتباره وسيلة من وسائل الإقناع، وهذا ما نراه في مؤلفاتهم.

**3-أنواع الحجاج:**

تنقسم أنواع الحجاج حسب وظيفة النص أو الخطاب. ومن خلال الإطلاع في مراجع وأدبيات الحجاج، نجد طه عبد الرحمن عارضا في كتابه " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" ثلاثة أنواع، وهي: الحجاج التجريدي، الحجاج التوجيهي، الحجاج التقويمي. وكل نوع من هذه الأنواع يختلف عن الآخر من حيث الشكل والمضمون، أوردة فعل المتلقي.

**3-1-أنواع الحجاج حسب وظيفة النص:**

**أ- الحجاج التجريدي:**

يهتم الحجاج التجريدي بالشكل فقط دون المضمون، فهو يعتني بالعبارات لا بمضامينها ولا محتوياتها. وعليه فإن "الحجاج التجريدي هو الإتيان بالدليل على الدعوى

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص448-449.

على طريقة أهل البرهان، هو الاستدلال الذي يعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها[1].

**ب- الحجاج التوجيهي:**

يفوق هذا النوع من الحجاج النوع الأول رتبة، حيث يعتمد فيه المرسل على الحجج التي يقدمها دون النظر إلى المرسل إليه لها، ويستخدم فيه العبارات التي تساعده على فرض هيمنه والقدرة على السيطرة، فالمقصود بالحجاج التوجيهي؛ "هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤها لها ولا ينشغل بنفس المقدار يتلقى المخاطب لها ورد فعله عليها فتجده يولى أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض"[2].

**ج- الحجاج التقويمي:**

يفترض المرسل اعتراضات يقدمها للمرسل إليه، فيقوم المرسل بدحض هذا الاعتراض قبل التحق به، أي أنه يهتم بردة فعل المخاطب، فالمقصود بالحجاج التقويمي هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه؛ فهنا لا يكتفي المستدل بالنظر إلى فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب واقفا عند حدود ما وجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط؛ بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقى؛ فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين من المستدل له أن يقوم به مستبقا استفساراته واعتراضاته، ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها، ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها"[3]. ويعدّ الحجاج التقويمي أعلى مراتب الحجاج؛ إذ يسعى فيه المرسل الإثبات حجته، ويجعل من ذاته ذاتا أخرى محاورة معترضة وسباقة إلى طرح التساؤلات والاعتراضات.

---

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الناشر المركز الثقافي العربي، 1998، ط1، ص12.

[2]- طه عبد الرحمان، نفس المرجع، ص13-14.

[3]- طه عبد الرحمان، نفس المرجع، ص13-14.

**3-2- أنواع الحجاج حسب الأدوات والآليات:**

أما عن تصنيف الحجاج باعتبار أدواته، فقد قسمه المختصون في مجاله إلى أقسام، وجاءت اعتبارات هذا التقسيم متباينة. غير أن أغلب الباحثين ذهبوا في ذلك إلى ذكر التصنيفات الآتية:

**أ- الحجاج اللغوي:**

في نظر بيرلمان أن الحجاج له ميزات خاصة به، كأن يكون بلغة واضحة ومفهومة، ويكون موجها للمتلقي أو المستمع لتحقيق التأثير والإقناع. حدد بيرلمان منطلقات حجاجية قصد الاعتماد عليها للاستدلال بها، وقد لخصها عبد الله صولة في كتابه "نظرية الحجاج دراسات تطبيقات" كما يأتي بيانه:

- الوقائع: "وتمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس" أي هي ما يشترك فيه مجموعة من الناس أو جميع الناس.
- الحقائق: "تقوم على الربط بين الوقائع ومدارها على النظريات العلمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية" تمثل النظريات العلمية والتصورات الفلسفية والدينية المتعالية.
- الافتراضات: "وهي شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة" أحكام قبلية متفق عليها من قبل العامة.
- القيم: "فإنها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسيا" تتدخل كأساس للحجاج في الميادين القضائية والسياسية والفلسفية.
- الهرميات: "إن القيم ليست مطلقة وإنما هي خاضعة لهرمية ما، فالجميل درجات وكذلك النافع" القيم درجات مراتب، وهذا يعني خضوعها للهرمية والترتيب[1].
- المعاني أو المواضع: "إن للخطيب ألا يعمد لاستخدام القيم وهرميتها للرفع من درجة إذعان الجمهور"؛ فهي مقدمات يلجأ إليها المحاجج لبناء القيم وترتيبها، وهي أنواع.
- مواضع الكم: هي مواضع تثبت أن شيئا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية "الكل أفضل من الجزء، أي تميز الأشياء بنسب كمية.

[1]- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، 2001، ط1، ص24-25-26.

- مواضع الكيف: وهي "ضد الكم، من حيث إنها نسيج وحدها" يعكس مواضع الكم تتحدد قيمتها من حيث ميزة وجدانية.
- مواضع أخرى: "منها مواضع الترتيب، مواضع الموجود" كموضع الترتيب، مواضع الموجود، مواضع الجواهر.

تشكل هذه المنطلقات مقدمات بين المتكلم والسامع لتحقيق الإقناع، وعلى المتكلم أو المرسل أن يختار مقدماته وفق بيئة وثقافة المخاطبين في خطابه، وأن يحيط بظروفهم النفسية والسمات العامة، وكذلك وسطهم وثقافتهم ومسلماتهم ومعتقداتهم.

إن كل ما ذكرناه من مقدمات يمكن ردّه إلى ضربين اثنين ضرب مداره على الواقع la reél وهو المتعلق بالوقائع والحقائق والافتراضات، وضرب مداره على المؤثر والمفضل lepréférable وهو المتعلق بالقيم ومراتبها ومواضع الأفضل فيها[1].

الموجهات التعبيرية Modalitéd'expression، أو الجهات التعبيرية التي دورها حجاجي في عرض المعطيات من ذلك التقي Lanegation؛ فالنفي إنما هو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير، ومن ذلك أيضا طرائق الربط بين القضايا بواسطة أدوات الاستئناف؛ فهي تبنى النتيجة على السبب أو تحدث هرمية في شأن مثل (الواو، أو، لكن ... إلخ)، وكذلك أيضا عبارات من قبيل رغم، أنّ، إن كذا، فهي من التقنيات التي تتيح للخطيب سلاسة انقياد السامعين إلى حيث يريد أن يقودهم "لقد حصر المؤلفات الموجهات بالمعنى اللساني الذي لهذا المصطلح في أربعة هي:

- التوجيه الإثباتي /Modalitéassertive ومن شأنها أن تستخدم في أي حجاج.
- التوجيه الإلزامي /Modalitéinjonctive وصيغته اللغوية الأمر، لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية.
- التوجيه الاستعلامي /Modalitéinterrogation، وهي ذات قيمة خطابية جليلة؛ إذ يقترض السؤال شيئا تعلق به ذلك السؤال ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء.

[1]– ينظر: عبد الله صولة، المرجع السابق، ص27، 28.

- التوجيه بالتمني /Modalitéantative، ومداره على الصيغ المقيدة تمنيا، وهذه الصيغ يستفاد منها الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تقربه المجموعة".
- التوجيه الإثباتي /Modalitéassertive: ومن شأنها أن تستخدم في أي حجاج.
- التوجيه الإلزامي /Modalitéinjonctive: وصيغته اللغوية الأمر لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية.
- التوجيه الاستعلامي /Modalitéinterrogation: وهي ذات قيمة خطابية جليلة؛ إذ يقترض السؤال شيئا تعلق به ذلك السؤال، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء.
- التوجيه بالتمني /Modalitéantative: ومداره على الصيغ المقيدة تمنيا، وهذه الصيغ يستفاد منها الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تقربه المجموعة"[1].

فالحجاج اللغوي إحدى النظريات الحديثة في الحجاج، والتي أرسى دعائمها اللساني الفرنسي الشهير "أوزفالدديكرو"، والتي يسعى من خلالها إلى إثبات فكرة عامة مفادها أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية. كما نجد النظرية تزيح الفكرة الشائعة التي تقرّ بأن الوظيفة الأساسية للغة، هي الوظيفة التواصلية الإخبارية، وترسي مكانها فكرة جديدة بجعل الوظيفة الحجاجية وظيفة أساسية للغة.

"تنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، "وهي تحاول أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وعلى الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية، وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، وبعبارة أخرى، فإن الحجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"[2].

فالحجاج عند ديكرو يقوم على البنى اللغوية وعلى ترابطها داخل الخطاب؛ أي على الأقوال نفسها خلافا للاستدلال الذي يقوم على ما تحمله تلك البنى اللغوية من وقائع، وما

[1]– ينظر: حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص321–322.

[2]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع الدار البيضاء، ط1، 2006، ص8.

تتضمنه من قضايا لا على البنية اللغوية للأقوال؛ "فالحجاج إذا متصل بالعلاقات بين الأقوال والنصوص والخطابات، في حين أنّ الاستدلال متصل بالعلاقات بين القضايا التي تحكم عليها إما بالصدق وإما بالكذب"[1].

يرى ديكرو أن من شأن هذه النظرة للغة، تجعل كل من المتكلم والمخاطب جهازي إرسال واستقبال، أحدهما يبث ويرسل، والآخر يتلقى ويستقبل. ويرى أيضا أن الوحدة القاعدية للنظام اللغوي هي الخطاب وليست الجمل أو العبارات المعزولة، وإنما يتأتى ذلك عن طريق إنجازات كلامية أكبر، واشتمل هي الخطاب.

**ب- حجاج المنطق (الطبيعي):**

الحجاج المنطقي مرده إلى المنطق غير الصوري. وهو منطق عملي يعتمد على اللغة الطبيعية، ويهدف إلى خدمة أغراض الواقع. ومن هنا؛ "فالنظرية المنطقية الطبيعية في مجال الحجاج حي نظرية العمليات المنطقية الخطابية التي تولد لنا مجمل الخطاطات الحجاجية، ومن ثم يتضمن الخطاب الذي يعتمد على اللغة الطبيعية مجموعة من العمليات الذهنية والمعرفية التي يمكن أن يبنيها المتكلم للسامع في تشكل خطاطات تمثيلية منظمة ليقوم بإعادة بنائها.

هذا وتتبني الخطاطة عند غرايس على المرسل الذي يرسل الخطاطة في شكل تمثلات واقعية ومعرفية وذهنية إلى السامع الذي بدوره يعيد بناءها من جديد. وتتمثل الرسالة في تبادل التماثلات المشتركة بينه بينهما، سواء أكانت ثقافية، أم اجتماعية، أم لغوية، أم معرفية. ولا يمكن بناء الخطاطة الحجاجية إلى في سياق زماني ومكاني وثقافي من أجل توجيهها إلى الغير السامع، وهذا ما يعطى للخطاطة عبارة عن صورة سيميائية تتعلق بالموضوع والمرسل والمخاطب على حدّ سواء"[2].

يتأسس الخطاب عند غرايس من خلال الخطاطة التي تعتمد على المنطق الطبيعي واللغة الطبيعية في السيطرة على الخطاب والتحكم في تسلسله وتناميه. وتخضع هذه الخطاطة في بنائها على العقل الذي يخاطب العقل الآخر – المتلقي – ويوفر له نوعا ما من الحرية.

---

[1]- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص194.

[2]- ينظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص50.

ومن خلال مصنفه "من المنطق إلى الحجاج"، كان هدفه فك العلاقة بين المنطق والرياضيات، وذلك حتى يتوسع من مدلول المنطق، ويحقق من طابعه الصورى؛ فتوسيع المنطق ضرورة ملحة لدى غرايس، يهدف تحريره ونقله إلى مختلف الحقول المعرفية، وعلى رأسها حقل اللغة.

**ج- الحجاج البلاغي (الفنّي):**

هو الحوار القائم على استخدام الأدلة العقلية والنقلية واللغوية بين المتحاجين بتوظيف آليات البلاغة المختلفة لإثبات الحقيقة التي يريدها المحاج لإثباتها، بغية الإبانة والإقناع والتأثير في المتلقي، علما بأن "الحجاج في طابعه العام يبنى على طرح الدعوى والدعوى المضادة واستعراض الحجج والأدلة والأمثلة لإفحام الخصم بغية إلى نتيجة قد يقتنع بها المتلقى أو لا يقتنع ... يهدف المتكلم المحاجج إلى التأثير على المتلقى باستعمال ضمير المخاطب، والترغيب والترهيب، وصيغ التنبيه والتأثير والإقناع، وأساليب النداء والحث والنصيحة والإرشاد... فضلا عن الصور البلاغية وأساليب التحفيز والتطويع"[1].

فالبلاغة تملك من الآليات الأسلوبية والبيانية والبديعية من وسائل التأثير والإقناع ما يستطيع بواسطته المحاج إثبات حجته وبيان بطلان الدعوى التي يأتي بها خصمه؛ فهي وسيلة من وسائل التأثير والإقناع عند جميع الأمم. بهذا كانت البلاغة مجالا رحبا لعمل الحجاج؛ فالعرب البلاغيون قديما وحديثا انتبهوا إلى أهمية الحجاج البلاغي في مصنفاتهم – ولو أنهم لم يفردوه بباب معين من أبواب البلاغة– إلا أن ما أورده المتقدمون في علوم البلاغة تمثل آليات حجاجية في كثير من النصوص كالنصوص القرآنية والنثرية والشعرية.

**4- علاقة الحجاج بالعلوم الأخرى:**

إن موضوع الحجاج حقل تتجاذبه حقول معرفية مختلفة، كاللسانيات والمنطق والبلاغة. وقد احتل منذ أقدم العصور أهمية كبيرة عند علماء البلاغة، حيث اعتبر الركيزة الأساسية التي يستعين بها الباحث لفهم وتأصيل مختلف الظواهر البلاغية، وذلك أنه من فروع اللسانيات العامة، ويمثل صفة الحياة في القانون اللساني على مستوى النحو أو الصوت أو التداول أو البلاغة، أيّ كان شكله الأدبي ومضمونه التواصلي أو الفكري أو الجمالي؛ لأن

[1]– جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014، دط، ص10.

التقنين اللغوي عندما ينتقل من صفة التجريد إلى صفة التطبيق أو الاستعمال، إنما ينطلق محملا بآليات الدفاع عند ذاته من الحجج والبراهين التي تكفل أو ما تكفل تحقيق صدقية عند واضعه أو مستنبطه، كما تكفل له درجة عالية من الإيمان بالصوابية عند مستعمليه أو الأخذ به[1].

**4-1- علاقة الحجاج بالبلاغة:**

ليس الحجاج علما / فنا يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتم افتراضها من البلاغة (من غيرها، كالمنطق واللغة العادية)؛ ولذلك فمن اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب. ولما كان المجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعني بطريقة أجلى وأوقع في النفس[2].

وعلاقة البلاغة بالحجاج علاقة ممتدة وقديمة، وبدأت أولا عند اليونان حيث أحلو الحجاج من البلاغة محلا رفيعا، باعتبار أن البلاغة قادرة على التأثير والإقناع؛ أي أن تطوره مع تطور اللسانيات، وأنها تؤدي وظيفة إقناعيه واستدلالية، ومنها يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية. والغرض من الحجاج كما هو معروف، هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب.

ولا يمكن تعرية الحجاج من أثره البلاغي؛ لأنه مرتبط بالبلاغة ارتباطا وثيقا، وعلاقة المتكلم المخاطب بالمخاطب هي البحث عن موافقته ورضاه عبر التقنيات البلاغية التي يستعملها[3]. ويعدّ الحجاج أيضا هو الذي يجعل البلاغة آلية من آلياته، وذلك لاعتمادها على التأثير والاستمالة بواسطة الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية قصد إقناع المتلقي،

---

[1]- ينظر: خميس الملح، الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2015، ص30.

[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2008م، ص50.

[3]- حميد اعبيدة، الحجاج في الفلسفة وتدريسها، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص21.

فالبلاغة في هذا النوع، تكون المجال الذي يستقي منه الحجاج وسائله وآلياته، وذلك في سبيل إقناع المتلقي والتأثير فيه[1].

**4-2- علاقة الحجاج بالتداولية:**

أدى التفاعل بين البحث البلاغي فيما يتعلق بالحجاج إلى اقتراح عرض الاتجاهات الأساسية لدراسة الحجاج في البحوث التداولية، واختياراتنا من بين مختلف النظريات التداولية تستجيب لها جس التنظيم المنهجي للأبحاث، وإن طبيعة علاقتها بالحجاج هي التي حددت نظام تقديم النظريات المختلفة، لذلك فإن عرض الذي لا يطمح أبدا إلى أن يكون استقصائيا لا يراعي الترتيب الزمني لنشأة النظريات، بيد أنه يستجيب لنظام منطقي قابل للتحليل حسب منظورات ثلاثة كبيرة: منطقي ولغوي ومحادثي[2].

معنى هذا أن دراسة الحجاج في التداولية وعلاقتهم ببعضهم البعض متماسكة، ولا يمكن التخلي عن بعضهم، والاعتقاد بأن دراسة الحجاج في الخطاب هو شأن التداولية. وعليه يستند الحجاج إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي.

وتعرضت الدكتورة آمال يوسف المغامسي في كتاب الحجاج والخطاب النبوي علاقة الحجاج بالتداولية؛ حيث تقول: يعدّ الحجاج أهم أركان التداولية إلى جانب نظرية الأفعال الكلامية، وقد كان للبحوث التداولية دورا كبيرا في تطوير بلاغة الحجاج على المعارف اللسانية والبلاغية والاجتماعية وغيرها[3]. بمعنى أن ارتباط نظرية الحجاج اللساني بالجوانب التداولية التي أصبحت تهتم بها البحوث التداولية بعد انتقالها من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام التي تبرز مظاهر العلاقة بين المتكلم والخاطب داخل مجال التداولية.

ونرى أن الحجاج يندرج في إطار التداول القائم في الخطاب الطبيعي القائم على الاستدلال الحجاجي. ومن هنا نرى إن علاقة الحجاج بالتداولية تتبادر إلى الأذهان التداولية المدمجة التي تشكل عماد نظرية الحجاج[4].

---

[1]- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، الجزائر، ع5، 2005م، ص14.

[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2008م، ص16.

[3]- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016م، ص129.

[4]- صابر الحباشة، المرجع السابق، ص16.

ومنه فالحجاج قائم على استعمال التداول، فهو يركز اهتمامه في العملية الحجاجية للوصول إلى تحقيق أهدافه التواصلية والإقناعية؛ إذ يبعث لفظ التداولية على استحضار نظرية أفعال الكلام في الخطاب ورصدها فيه بغرض إقناع المخاطب بالرغم من اختلاف الإبعاد التّداولية التي تسمح بتوجيه الخطاب الحجاجي والإجابة على الإشكاليات والتساؤلات التي تحيط بالعملية التّخاطبية الحجاجية.

**4-3- علاقة الحجاج باللسانيات:**

يعدّ الحجاج شكلا من أشكال التفاعل اللفظي، وترتبط وظيفته بالسّعي إلى التأثير والاقتناع، لأنه عملية تواصلية معقدة نوعا ما، وذلك أنّها تنشد التّأثير في الآخر. وقد تمكنت اللسانيات الحجاجية من رسم معلم دقيق لدرس جديد مستقل بموضوعيته ومتميز بخطة عمله درس ينطوي على نضج كبير يوشك أن يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية ليلحقه بدائرة الممارسة العلمية اللسانية[1].

وكذلك يتخذ الحجاج الفلسفي من الفلسفة بعدا من أبعاده وآلية من آلياته؛ حيث تقاس نجاعته بمعايير خارجية؛ كالقوة أو الضعف أو النجاح أو الفشل في الإقناع، ويكون هدفه التأثير والتقبل، فهذا النوع من الحجاج يعتمد أساسا على الفلسفة وإجراءاتها كوسائل تهدف إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه؛ أي أن اللسانيات تتعلق بالحجاج بدراستها ووصفها ومنه تندرج نظرية الحجاج ضمن النظريات الدلالية؛ لأنها تدرس اللغة من حيث صوتيا وتركيبيا ودلاليا، وهي تسعى إلى منطق اللغة.

كما أنّ لها دورا في ربط الأقوال التي تنتهي إلى بنية حجاجية واحدة؛ بحيث تكون هذه الوجهات مؤطرة بالخاصية اللسانية التشكيلية، ومؤثرة على العلاقات الترابطية بين أجزاء الخطاب والأدوات اللسانية المحققة لها[2]. ومن أجل ذلك، يعدّ النص الحجاجي خصبا لتعدد الأصوات، وتتصارع فيه الأقطاب التلفظية على المستوى اللساني.

**4-4- علاقة الحجاج بالفلسفة:**

لقد تناول فلاسفة اليونان الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، ساعد في ذلك التفتح الديمقراطي الذي شهدته الحضارة اليونانية

[1] رشيد الراضي،الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 2016م، ص 79.

[2] صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، سوريا دمشق، ط1، 2008م، ص 47.

(أفلاطون، أرسطو... وغيرهم) وعيا للتنظير لفني الخطابة والجدل، مبينين من خلالهما استراتيجية الإقناع وهذه الاستراتيجية هي الحجاج بنفسه.

ومن المهم هنا، أن نلفت الانتباه إلى قضية أساسية في الحجاج عند أرسطو، تتمثل في علاقة الحجاج بمجالي الخطابة والجدل؛ فقد أكد أرسطو وجود الحجاج في الخطابة كما في الجدل؛ فهو القاسم المشترك بينهم؛ حيث أن الجدل والخطابة "قوتان لإنتاج الحجج"[1].

بمعنى آخر، تعتمد الخطابة على الحجاج، شأنها في ذلك شأن الجدل، مع اختلاف كامن في بنية الحجاج في كليهما؛ حيث يقول أرسطو: "كما أن للجدل ضربين من الحجاج؛ الاستقراء والقياس الحقيقي أو الظاهري؛ فالأمر كذلك فيما يتصل بالخطابة، لأن المثل استقراء، والضمير قياس ظاهر. وتبعا لذلك؛ فإنني أسمي ضميرا القياس الخطابي، وأسمي المثل استقراء خطابيا"[2].

ويعدّ أرسطو العمدة في الحجاج، حيث تناول الحجاج من زاويتين متقابلتين من زاوية بلاغية وزاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يعبر الحجاج عملية تفكير، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب.

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القران الكريم، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2، 2007م، ص17.

[2]– أرسطو، الخطابة، تعريب عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، المقالة1، الفصل2، ص06.

# الفصل الثاني:

# حجاجية التمثيل في الحديث النبوي الشريف

1- تعريف التمثيل (المثل).

2- تعريف الحديث النبوي الشريف

3- دراسة تطبيقية في حجاجية التمثيل في الحديث النبوي الشريف

## 1- تعريف المثل:

### 1-1- المثل لغة:

لم تختلف التعاريف التي أتى بها علماء اللغة في أمهات الكتب والقواميس للتمثيل، ولم تخرج عن معني المماثلة والمشابهة بين الشيئين، فنجد في معجم لسان العرب لابن منظور "فيما يخص لفظة المثل في مادة المثل" مثل: كلمة تسوية. يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه، والمماثلة لا تكون إلا في المتفقين، تقول نحوه كنحوه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه مشده، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة"[1].

وعرفه صاحب معجم مقاييس اللغة مثل: الميم والثاء واللام أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنا واحد، وربما قالوا مثيل لشبيه، تقول العرب أمثل السلطان فلانا، قتله قودا، والمعنى أنه فعل به مثل ما كان فعله والمثل أيضا شبه والمثل المضروب المأخوذ من هذا[2].

وفي القاموس المحيط ورد تعريف المثل بأنه الشبه، جمعه أمثال، وقولهم مراد بمثله، أي مثله بطلب ويشح عليه، والمثل الحجة والحديث. وقد مثل به تمثيلا وامتثله وتمثله به، والصفة ومنه مثل الجنة، وامتثل عندهم مثلا حسنا وتمثل، ومثله تمثيلا صوره له حتى كأنه ينظر إليه، وامتثله هو تصوره وامتثل طريقته تتبعها[3].

### 1-2- التعريف الاصطلاحي للمثل:

#### أ- تعريفه عند القدامى:

إنّ في كتب التراث لتعريف المثل سنجد الصورة عينها التي وجدتها في معجمات اللغة، مع فارق طفيف يعود إلى المفارقة التي تفضي إلى خروج بمادة "مثل" من أفق اللغة إلى مدى الاصطلاح؛ فالأدباء واللغويون القدماء كانت تعاريفهم للمثل تسعى تحديد لخصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره من فنون القول كوصفه بالإيجاز، وإصابة المعنى وجودة الكتابة.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 2003م، ص72.

[2]- أبو الحسن، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون دار الفكر، مج05- 297 سنة 1979، ص29.

[3]- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس والمحيط، دار الجيل، ج4، 2000، ص49-50.

وما يؤكد ذلك، تعريف إبراهيم لنظام المثل في قوله: تجتمع في المثل أربع خصال لا تجتمع، فيغيره من الكلام إيجاز اللفظ إصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة؛ فهو نهاية البلاغة".

أما أبو هلال العسكري، فقد عرف المثل في قوله تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول آخر جوها في أقوالها من الألفاظ، ليخف استعمالها، ويسهل تداولها؛ فهي من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسر مئونتها على المتكلم، مع كبير عجائبها أنها مع إيجازها تعمل على الإطناب، ولها روعة إذا برزت في عنايتها، وجسيم عائداتها.

أما الميداني، فقد أسهب وأفاض في وصف الأمثال، بألفاظ دالة في مقدمة كتابه مجمع الأمثال: "وأمثال تتجلي بفرائضها صدور المحافل والمحاضر وتتسلى بغرائدها قلوب البادئ والحاضر وتفيد أو أبدها في بطون الدفاتر والصحائف وتطير نواهضها في رؤوس الشواهق وظهور التنائف، فهي تواكب الرياح النكب في مدارج مهابها وتزاحم الأراقم الرقش في مضايق مدارها وتحوج الخطيب المصقع، والشاعر المغلقة إلى إدماجها وإدراجها في أثناء تصرفاتها وإدراجها لاشتمالها على أساليب الحسن والجمال، واستلائها في الجودة على أمد الكمال"[1].

الملاحظ أنّ جلّ التعريفات تصب في كون المثل له نفس التقسيمات والخصائص التي جعلت مختلف الآراء تقترب من إحداث تصور قولي وفعلي، له تربط تعريف المثل بقواعد الجمال والصياغة في اللغة العربية وتصله بها، وهو ما عرف لدى جميع الدّارسين إلى يومنا هذا، إلى جانب تطوّر النظر إلى مضمونها وأثرها.

**ب- تعريف المحدثين:**

ومن كثر الأمثال القديمة، ننتقل إلى كتب الأمثال الحديثة؛ فلا نجد ابتداع تعاريف جديدة؛ بل وردت بعض من التفاسير مشتقة من مناهل القدماء. ولنبدأ بتجربة عبد المجيد محمود الذي قام بعرض عام لمجمل آراء الأقدمين في هذا المضمار، شارحا إياها، مستنتجا منها أن المثل هو: "القول بسائر الذي يشبه به حال الثاني بالأول أو الذي يشبه مضربه

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة "مثل"، ص7.

بمورده، والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام وبالمضرب الحالة المشبهة التي أريدت بالكلام.

أما المستشرق الألماني زلهايم؛ فقط عرض لمادة "في كثير من المصادر والمنظمات وتخلص من كل ذلك إلى أنه يتحقق معنى المثل والمفهومة في اعتبار إحدى خيرات الحياة التي تحدث كثيرا في أجيال متكررة، ممثلة لكل الحالات الأخرى المماثلة؛ فالمثل ليس تعبيرا لغويا في شكل جملة تجريبية مصيبة تنصب على كل حالة على سواء؛ لأن هذه الصياغة الفكرية، تخرج عن القدرة التجريبية للشعب البدائي، والتفكير الواضح للشعب وللشعراء، يفوق في التأثير النفسي طريقة التعبير التجريبية وكثيرا"[1].

**2- تعريف الحديث النبوي الشريف:**

يُعرف علماء الحديث النبوي بأنّه ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، فما بدر من النبي من الأقوال أو الأفعال، أو التقريرات؛ أي الإقرار والموافقة على موقف فعله أمامه أحد من الصحابة رضي الله عنهم أو بلغه دون اعتراض أو إنكار، أو ما روي لنا من صفاته الخلقية أو الخُلقيّة، وأما علماء أصول الفقه فيخصون تعريف الحديث النبوي بأنّه ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير، ويتكوّن الحديث النبوي من سند ومتن فالسند؛ هو سلسلة الرواة الذين رووا الحديث، والمتن؛ هو نص الحديث والألفاظ التي تضمنها.

**أ- لغة:**

يسمى الحديث في اللغة ضد القديم، وتعرفه بعض المعاجم بأنه "كل ما يتحدث به من كلام وخبر وَيُقَالُ الحَدِيثِ ذُو شجون يتَذَكَّر بِهِ غَيْرِه وَكَلَام رَسُول الله ﷺ"حديثا. ويرى آخرون بأن كل كلام يتحدّث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي، في يقظته أو في منامه هو (حديث). وبهذا المعنى سمي القرآن حديثا. مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ سورة النساء الآية 87.

[1] حنان مرسلي، محي الدين زليخة، جمالية المثل في الحديث النبوي الشريف، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2018-2019،ص6.

**ب – اصطلاحا:**

الحديث في الاصطلاح "هو" ما أضيف إلى النبي ﷺمن قول أو فعل أو تقرير أو صفة كقوله ﷺ: «إنّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى وكالذي ثبت من تعليمه ﷺلأصحابه كيفية الصلاة حيث قال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي. وما ثبت أيضا من حجه ﷺ، وقد قال حينئذ: «خذوا عني مناسككم». و"مثال التقرير أو الإقرار كأن يقرّ أمرا علمه عن أحد من الصحابة من قول أو فعل سواء أكان ذلك في حضرته ﷺ أم في غيبته ثم بلغه ذلك، ومن أمثلته أكل الضب على مائدته صلوات الله وسلامه عليه.

رغم أنه لم يأكل منه فهذا يعتبر إقرارا منه ﷺبإباحة أكله". ونحوه أيضا ما روي أن رسول الله ﷺبعث رجلا على سرية، وكان هذا الرجل يقرأ في صلاته فيختم قراءته بقراءة سورة قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺفقال ﷺ: سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فلما سألوه: قال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي عليه الصلاة والسلام أخبروه أن الله يحبه».

ومثال الصفة هو ما اتصف به ﷺ– من أنه كان دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب ولا فحاش ولا عياب، بل كان صلوات الله وسلامه عليه كامل الصفات الحميدة كلها[1].

**3– دراسة تطبيقية لحجاجية التمثيل في نماذج من الحديث النبوي الشريف:**

**3–1– النموذج الأول:**

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال رسول الله ﷺ:(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّخْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِر ولم تُفْسِدْ) رواه الإمام أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر والشيخ الألباني.

**أ– الحجاج اللغوي:**

جاء في هذا الحديث جملة من القرائن الدالّة على الحجاج اللغوي، لعلّ من أبرزها المؤكّدات الواردة في مطلعه، ومن هذه المؤكّدات القسم الظاهر وهو من أقوى أنواع التوكيد عند العرب، إذ كانوا يتورّعون من الأيمان الكاذبة ويعتبرونها نذير شؤم يجلب الأضرار

[1]– لزمد جابر فياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، العهد العالدي الفكر الإسلامي سلسلة الرسائل الجامعية ط1، 1414م، ص12.

ويجعل الديار بلاقع، والمقسَم به في الحديث هو الله ﷻ منسوب إليه نفس النبيّ ﷺ، وحريّ بمن يقسم قسمًا كهذا أن يكون قسمه صادقًا لا كذب ولا حنث فيه. كذلك استعمال (إنَّ) المثقّلة التي استُقبلت بها جملة جواب القسم واللام المزحلقة، وهذه المؤكّدات إذ اجتمعت في كلام لا تترك مجالا للسّامع إلّا أن يكون التصديق أقرب إليه من التكذيب.

كذلك من أدوات الحجاج اللغويّ التشبيه بـ( مَثَلُ ... كَمثَلِ...) وهذا الأسلوب البديع فيه من دقّة التشبيه ما فيه، إذ ورد في آيات قرآنيّة كقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[ البقرة: 261] وأحاديث نبويّة أخرى كقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) أخرجه البخاري ومسلم.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

إنّ التشبيه الوارد في هذا الحديث النبويّ فيه ملمح بيانيّ بديع يوحي بالحجاج البلاغيّ وهو نقل السّامع عند التشبيه من أمر معهود محسوس ومُشاهَد إلى أمر معنويّ متعقَّل وغيبيّ فالنحل معروف عند العرب وهو ذلك المخلوق النشيط المفيد الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، بل سُمّيت سورة قرآنيّة باسمه، بينما حقيقة الإيمان تبقى غائبة عن فهوم النّاس حتّى يتذوّقها الإنسان ويعيشها، هذا السّمت الربّاني الذي يتجلّى على المؤمن في ذاته وأخلاقه وتعاملاته إنّما يشبه في عوالم الحيوان حياة النحلة، وهو ما ذكره الحديث الشّريف، فقوله أكلت طيّبا ووضعت طّيبا ذلك أنّ النحلة تقع على الشذيّ من الزهور فتنهل من رحيقها ومن الأخضر النّافع من النبات والأعشاب، فيظهر ذلك أثرًا في عسلها الحلو الشّافي، كذلك حال المؤمن فيما يأخذه ويعطيه؛ فإذا كان المؤمن قد أخذ معتقده من النّبع الصافي الزّلال نبع العقيدة الإسلاميّة التي ارتضاها الله لعباده، وكان مأكله طيّب حلال وملبسه طيّب، ومجلسه طيّب، فكان حتما أن يكون ما يعطيه المؤمن طيّبا نافعًا فهو كالغيث أينما حلّ نفع، فهو نافع في تعاملاته مع النّاس وهو صاحب الكلمة الطيّبة الحلوة، وحتّى مشاركته طعامه شفاء كما ذُكِر في الأثر وهو حال النّحلة المذكورة في الحديثة لما تضعه من شهدٍ وشمع وكلّ منتوج لها طيّب لا يخلو من شفاء لمستعمله أو لذّة لمتناولها، وحتى لسعات النّحل فيها شفاء للمرضى.

كما يظهر الحجاج البلاغيّ في ورود الحديث بأسلوب خبريّ وهو حامل معنى الإنشاء فالنّبيّ عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث يبيّن حال المؤمن ويضرب له المثل بحال النحلةليقتديَ السّامع ويستعدّ لهذه المكانة ببذل ما يلزمها، كأنّ النبيّ ﷺ يقول في هذا الحديث ما معناه: كن يا أيّها المسلم كالنّحلة في أوصافها المذكورة، وهذا أسلوب غاية في الإقناع فالطّلب إذا جاء بصيغة الخبر يكون في تقبّله أهون على النّفس، فتطرب له الأذن ويتقبّله الفؤاد، وتنشط له الجوارح.

**ج- الحجاج المنطقي:**

يتجلّى الحجاج المنطقي في ذلك التدرّج عند ذكر أوصاف النحلة وأحوالها وبالتّالي هي أوصاف مشابهة لأوصاف المؤمن، إذ كان الانطلاق من الإيجابيّ منها وما هو مطلوب أن يكون عليه الإنسان المؤمن، بعد ذلك انتقل الحديث النبويّ إلى ذكر الصفات السّلبيّة غير المرغوب فيها؛ فذِكْر أكْلِ الطيّب ووَضْع الطيِّب سُبِّقَ على عدم الكَسْرِ والإفْسَاد، ومعلوم أنّ الإنسان يميل بطبعه إلى فعل الإيجابيّ أكثر من ترك السّلبيّ، ذلك أنّ هذا الأخير تدخل فيه فواعل أخرى من أجل تزيينه للمؤمن وهي النّفس والشّيطان ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[ البقرة: 12]، ثمّ إنّ الإنسان إذا اعتاد فعل منهيّ عنه فيه إفساد دخل في معترك الإقلاع وهو فعل فيه معاودة ومجاهدة ومكابدة، ولذلك كان من المنطقيّ البدء بالأيسر من الصفات، ولمّا كان في علم الله تعالى هذه الأحوال من البشر- وهو خالقهم- جعل السّهل اليسير كفّارةً للصعب العسير قال تعالى:﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:114].

**3-2-النموذج الثاني:**

عن أبي موسى الأشعريّ ﷺ قال: صلَّيْنا المَغرِبَ مع رسولِ اللهِ ﷺفقُلْنا: لوِ انتظَرْنا حتَّى نُصلِّيَ معه العِشاءَ فانتظَرْنا فخرَج علينا فقال ما زِلْتُم ها هنا؟) قُلْنا: نَعم نُصلِّي معكَ العِشاءَ قال أحسَنْتُم) أو قال أصَبْتُم) ثمَّ رفَع رأسَه إلى السَّماءِ فقال:(النُّجومُ أَمَنَةُ السَّماءِ فإذا ذهَبَتِ النُّجومُ أتى السَّماءَ ما تُوعَدُ وأنا أَمَنَةٌ لِأصحابي فإذا أنا ذهَبْتُ أتى أصحابي ما يُوعَدونَ وأصحابي أَمَنَةٌ لِأُمَّتي فإذا ذهَب أصحابي أتى أُمَّتي ما يُوعَدونَ) رواه ابن حبّان.

**أ- الحجاج اللغوي:**

في هذا الحديث يظهر الحجاج اللغويّ جليّا من خلال توظيف الجملة الاسميّة المؤلّفة من مبتدأ وخبر دلالة على الدّوام والثّبات دون التقيّد بزمن محدّد ثمّ تَرِدُ على هذه الجملة

جملةً شرطيّة تُستعمَل فيها أداة الشرط (إذا) حيث تكون جملتا الشرط وجوابه في الزمن الماضي وهذا من أشيع استعمالات الشّرط في الحديث النّبوي على شاكلة قوله ﷺ:(...**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ...**)، ومجيء إذا الشرطيّة فيه دلالة على أنّ الشّرط يقينيّ متحقّق لا محالة، على عكس إنْ المخفّفة فإنّها تكون في مواضع الشّكّ والظّنّ، قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: «فأما ما كان واجب الوجود، فلا يجوز (إن) ولا الأسماء الجازمة فيه ... وأما (إذا) فيجازى بها الواجب الوجود، كقولك: إذا طلعت الشمس خرجت، وفيما علم على الجملة أنه كائن».

يتكرّر هذا الأسلوب في ثلاثة مقاطع من الحديث النبويّ فمجيء الجملة الاسميّة دلالة على الديمومة والاستمرار فقوله: (النجوم أمنة السماء) يدلّ على أنّ النجوم ما دامت باقية فإنّ السماء باقية حتّى إذا انكدرت النجوم وانتثرت وذهبت يوم القيامة فإنّ السّماء تنفطر وتنشقّ وتذهب وقوله: (وأنا أمنة لأصحابي) يدلّ على بقاء الصحابة في منأى عن الفتن التي حلّت بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى من اقتتال بين الصّحابة وظهور للكذّابين من المتنبّئة وردّة للأعراب، وقوله: (وأصحابي أمنة لأمّتي) فقد كانوا لهذه الأمّة بمثابة النجوم الطوالع تهديهم سبل الرّشاد، فمازالت الأمّة ترجع لخلفاء النبيّ وأصحابه من الأنصار والمهاجرة وأصحاب بدر والسّمرة وكتبة الوحي ومن كان القرآن ينزل بين ظهرانيهم، حتى إذا قضوا ظهرت البدع المنكرة والحوادث في الدّين والفتن واستُحِلّت مكّة والمدينة. وقد جاءت الجمل الشّرطيّة على منوال واحد وهو استعمال الأداة (إذا) وفيها ملمح اليقين مع تصريف فعلي الشّرط وجوابه في الماضي، فما وقع فهو من قبيل إعجاز الحديث النبويّ، وما لم يقع إنّما يندرج ضمن باب الإيمان الراسخ بالغيبيات.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

من مظاهر الحجاج البلاغيّ والبيانيّ هو مجيء الكلام فيه على منوال واحد فيه تكرار للأسلوب ( إذا ذهب كذا أتى كذا ما يوعد)، ويستفاد من هذا التشبيه الحاصل بين مكانة النبيّ ﷺ في أصحابه، ومكانة الصحابة في الأمّة، ومكانة النّجوم في السّماء، فوجه الشّبه الظاهر هو الأمان الملازم للوجود، لكن هناك أوجه أخرى خفيّة للشبه هي تزيّن العامّ بالخاص، فالسّماء زيّنتها النّجوم، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[ الملك: 5]، كما أنّ مجتمع الصّحابة زيّنه

النبيّ الكريم، وكما أنّ خير القرون على الأمّة هو قرن الصحابة الكرام وعصرهم، كذلك كون الثلاثة ممّا يهتدى ويقتدى به ويسرى بطلوعه في الليل الأليل المدلهمّ.

**ج- الحجاج المنطقيّ:**

في هذا الحديث الشّريف حجاج منطقيّ نلاحظه عند مقابلة الصّور مع بعضها من أجل الخلوص إلى شاهد مشترك من الكلام متمثّل في أنّ الله عز وجلّ إذا قضى أمرًا فإنّه كائن لا مهرب منه سواء أكان خيرًا أم شرّا، وهذه الأحداث الثلاثة جاءت مرتّبة من آخرها وقوعًا إلى أوّلها متباعدة الأزمان وهذا الترتيب في حدّ ذاته إعجاز في الحديث النبويّ فالحديث يُقسّم حسب فهم النّاس له وإيمانهم به إلى ثلاث طوائف؛ طائفة عاصرت النبيّ ﷺ وماتوا قبل التحاقه بالرفيق الأعلى فأولئك يؤمنون بهذا الحديث غيبًا لما توفّر لهم من اصطفاء الله لهم ليكونوا من مؤمني خير القرون ولما وقفوا عليه من دلائل نبوّته ومعجزاتهﷺ فكان إيمانهم بالوعود الثلاثة غيبًا، وطائفة أخرى عاصرت النبيّ ﷺ ووفاته فأولئك شهدوا ما وُعِد به الصحابة بعد النبيّ ﷺ وآمنوا بموعود الأمّة والسّماء غيبًا، وطائفة لم تعاصر النبيّ ﷺ ولا أصحابه وقد وصلهم خبر موعود الصحابة وشهدوا موعود الأمّة ولكن موعود السّماء يوم القيامة عندهم من الغيب الذي يؤمنون به، فكان لكلّ طائفة من أولئك تكليف مناسب لها في الإيمان الغيبيّ يتناسب طرديّا مع درجة الخيريّة في الأمّة.

**3-3-النموذج الثالث:**

ورد الحديث بألفاظ عديدة منها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (المؤمن مرآة المؤمن يحوطه من ورائه ويكفّ عنه ضيعته) رواه البزار.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن: يكفّ عنه ضيعته يحوطه من ورائه) رواه أبو داود.

لكنّنا سنتناول بالدراسة طرف الحديث **(المؤمن مرآة المؤمن)**.

**أ- الحجاج اللغوي:**

حديث (المؤمن مرآة المؤمن) جاء في جملة اسميّة مكوّنة مبتدأ وخبر وفي هذا التركيب النّحويّ دلالة على الديمومة والاستمرار والملازمة، فالمؤمن لا يكفيه أن يكون كثير الملاحظة لهنّات أخيه وعثراته مقوّما لها وناصحا له بآداب النّصيحة، بل يجب أن يكون هذا

سمته الدّائم، متى ما نظر إليه أخاه وجد منه التوصيف اللازم لحاله خالٍ من التملّق والكذب والنّفاق، والنصيحة لا يراد منها سوى وجه الله الكريم.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

في هذا الحديث ندلّل على وجود الحجاج البلاغيّ، إذ أنّه يندرج ضمن جوامع الكلم التي أوتيها النبيّ ﷺ، فعبارة واحدة يُستنبَط منها كثير من الدرر والفوائد، منها ما تُرك لفهم السامع وقراءته كقوله:( دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)، ومنها ما شرحه النبيّ ﷺ بناء على طلب الصحابة كقوله: (الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟، قال: لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)، وهذه الخصيصة منحت له دون غيره ﷺ ما جعل كلامه حجّة في اللغة، ومعيارا في الفصاحة والبلاغة.

ثمّ إنّه من الحجاج البلاغي والبيانيّ في هذا الحديث، استعمال التشبيه البليغ وهو نوع التشبيه الذي تحذف منه الأداة وأيضاً يحذف وجه الشبه، وهو يُعد أعلى مراتب التشبيه في البلاغة بسبب احتوائه على ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به ولهذا يتصف بقوة المبالغة، فلا يفصل بين المشبه والمشبه به أي فاصل. بالإضافة إلى أنه لا يتم ذكر الوجه حتى لا يكون هناك أي تقييد، وهناك ميزة أخرى تجعله في أعلى مراتب التشبيه وهي إيجاز الناشئ أن يحذف ركنين وهما الأداة والوجه معاً، حيث شبّه المؤمن بالمرآة دون ذكر لأداة التشبيه أو وجه الشّبه فتأويل الحديث: المؤمن مثل مرآة المؤمن في إظهاره للعيوب اللازم إصلاحها فاذا إطلّع على شيء من عيوب أخيه وأخطائه نبهه عليها أرشده إلى تعديلها وتصويبها. وفي هذا الإيجاز النبويّ غاية البلاغة ومنتهاها.

**ج- الحجاج المنطقي:**

إنّ استعمال المرآة في هذا الحديث لهو استعمال منطقيّ لا يستعاض عنه بحال، فلو قال قائل منّا أنّ المؤمن عين المؤمن لقيل له إنّ العين تبصر الشيء وتخطئه وربّما أخطأت هذه العين عيبًا من العيوب، ولو قال قائل أنّ المؤمن مراقب المؤمن لقيل أنّ المراقب يسهو وتأخذه سنة أو نوم عن أخيه فليس دائما حاضرا ذهنه أو متّقدة بصيرته ولو كان البصر شاخصا، ولكن المرآة ما يكون لها – بما تحوي من خصائص- إلّا أن تنقل للرّائي كلّ ما ظهر فيه من محاسن ومساوئ حتّى يثمّن الحسن ويصلح السّوء، فاستخدام لفظ المرآة توحي بكون الشي يتوافق كلياً مع صورته فالمؤمنون يتشابهون في تفكيرهم وأقوالهم و أفعالهم حين

يصلون لدرجة الإيمان الحقيقي، إضافة لذلك يمك التساؤل حول وجود المرآة من عدمها في عهد النبي محمد ﷺوفي هذا المقام نستطيع القول أنَّ في حال وجودها من زجاج أو فخار أو حديد فالقصد هنا هي المرآة الحقيقية ولكن إن لم تكن موجودة فالمقصود طبعاً هو الرؤية والنظير بعبارة أخرى أن ينظر المؤمن أخاه فيوجهه إن أخطأ ويُصَوبه إن زَّل.

**3-4- النموذج الرابع:**

حرص الرسول ﷺعلى الود والمحبة والتعاطف بين أفراد المجتمع، في عبارة موجزة ومعجزة تجمع كافة صنوف الخير لتجعله مجتمع الخير، وأضاف تشبيها في غاية البلاغة في قوله ﷺ"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل له سائر الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى بالسهر والحمى"

**أ- الحجاج اللغوي:**

الحجاج اللغوي في الحديث: استخدم ﷺفي حديثه المؤمنين بدل المسلمين ولا يصل المسلم درجة التواد والإحسان إلا إذا بلغ درجة الإيمان، فلفظ التواد دليل المساواة والود، يكون بين الغني والغني وبين الفقير والفقير، أما التراحم فهو من الأقوى للأضعف؛ أي يرحم قوي المؤمنين ضعيفهم.

فالرسول ﷺشبه تواد المؤمنين بالجسد شيء معنوي من إيخاء ومودة ورحمة بشيء حسي وهو الجسد، فحجاجية الجسد هنا لأنه وظائف تتكامل وتتلاحم وانقطاع وظيفة عضو تعطل وظيفة الآخر وأي مؤمن أو فئة تضعف أو تسقط أو تعاني يشعر المجتمع ككل بالضرر وهو الألم للجسد والضعة للمجتمع من الحجاج اللفظي تكرار كلمة مثل مرتين وهذا الإثبات شدة الصلة وتمام الشبه.

أما حجاجية الزمن، اشتكى تداعى ولم يقل يشكو ويتداعى فالماضي يثبت وقوع الشيء ولن يكون الضرر إلا بوقوع سببه، فوقوع الضرر على عضو من الجسد وعلى المؤمن يوقع فعلا الضرر على الجسد ككل والمجتمع واستخدم سائر الاستغراق شدة الضرر وأنه يطال كل الجسد وليس بعضه وليس أغلبه بل سائر.

اقتران السهر بالألم دليل معرفة النبي ﷺبالضرر النفسي للألم من الأرق والسهر وهذا دليل أن السهر هو عدم القدرة على النوم من عارض كالمرض وليس معناه ايجابيا للسمر والتمتع بالليل الحمى معرفه عنده ﷺوأغلب الأمراض أو جلها تحدث في الجسد الحمى

فالمؤمن بهذا السهر والاهتمام يشعر بالود والرحمة والعطف فلا يقدم المساعدة بتأفف أو تثاقل تجمع هذه الأوصاف الثلاثة بين المؤمنين بالترابط والتعاون.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

من أدوات التصوير المستعملة بكثرة في الحديث النبوي التشبيه، والمعروف أن التشبيه لا يؤتى به لإقامة علاقة بين المشبه والمشبه به بل يؤتى للإيضاح والبيان مع الإيجاز والاختصار في الحديث تشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني والإفهام النبي ﷺشبه المؤمنين بالجسد الواحد، فوحدتهم عضوية فهي وحدة قوية بينهم جعلتهم متوادين ومتعاطفين ومتراحمين، وحدتهم حقيقية تغوص في أعما قصم ومشاعرهم وتظهر على وجودهم وألسنتهم يُخيّل لنا هذا الحديث أعضاء الجسد وقد يدعو بعضها بعضا للنجدة وينابيه لإسعاف صاحبها أو مواساته، ليأتيه مستحقا باستجابة صادقة ومساعدة حقيقية فالرسول ﷺيقر بذلك حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين، وذلك يضرب مثل يصور صورة أعضاء الجسد في الجسد، فإذا ألمّ بأحدها شيء لم يتفرد بالألم دون سائرها، فيسهر الجميع لسهرها، ويحم الجميع لحُماه، وهكذا ليس هناك في المجتمع الإسلامي عضو هينًا لتتأثر الأمة من أجل ضُرٍّ أصابه.

فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد، وهو غاية التضامن والتآلف والتحابب، ووجه التشبيه فيه التوافق في التعب والراحة وتداعي بعضه بعضا إلى المشاركة في كل ما يلم به وتمثيل جميل.

**ج- الحجاج المنطقي:**

هذه الأمور الثلاثة متقاربة في المعنى، والفرق بينهما، أن المودة هي خالص المحبة، فهي إصغاء القلب وخياله إلى المحبوب فالمحبة على درجات، ومن هذه الدرجات المودة، وأما الرحمة معروفة، تكون بالقلب وتظهر آثارها، وتعنى لونا من الشفقة على المرحوم، ومحبة الخير له. وأما التعاطف يدل على الشفقة على المعطوف عليه.

ويمكن القول بأن الفرق بين هذه الصفات أيضا: التواد هو يحصل به التقرب إلى الشخص بهدية ونحوها، وأما الرحمة بمعناها المعروف فهي في القلب، وأما العطف بمعنى العون والتضافر من الانعطاف.

وأعلم أن العطف لا يأتي من أصحاب القلوب القاسية وكذلك الرحمة والمودة، فإذا كان الإنسان قاسي القلب كأنما نزعت الرحمة من قلبه، فهو لا يبالي بمشاعر الآخرين فطريق السعادة والراحة إنما يكون بالإحسان إلى الخالق وبالإحسان للمخلوقين، وكلما ازداد الإنسان إحسان إلى الناس واجتهد في مساعدتهم، ولو بالكلمة الطيبة، فسيجد الراحة والسعادة في قليه التواد والتراحم والتعاطف سبب في تكاثف المجتمع وقوته ورصانته فالعطف والرحمة وإحساس المؤمنين ببعضهم البعض يولد حصانة ومنعة في المجتمع، وهذه الصفات الثلاث تلبي حاجة الإنسان إلى غيره، فالإنسان بطبعه اجتماعي ويحتاج للآخرين كما أن غيره محتاج إليه، وهذا يتحقق عن طريق إقامة رابطة إيمانية إخوانية بين المسلمين.

**3-5- النموذج الخامس:**

من صور ومظاهر رحمة التي ﷺ، وصيته بالنساء عامة وبالأرامل منهن خاصة فهو يُخبر بأن الذي بمصالح المرأة التي مات زوجها والمسكين المحتاج وينفق عليهم، هو المجاهد في سبيل الله، وكالقائم في الصلاة الذي لا يتعب من ملازمة العبادة وكالصائم الذي لا يفطر في قوله ﷺ"الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار".

**أ- الحجاج اللغوي:**

رفع النبي ﷺمن قدر ساعي شؤون الأرملة، لأن السعي عليهن سبب الرحمة الله تعالى، فالأرملة هي المرأة التي لا عائل لها، أرملة مات زوجها، ليس لها أحد يقوم بشؤونها فهي منكسرة بحاجة إلى رعاية، فهي ضعيفة، تحتاج من يقوم على مصالحها ومن ينفق عليها، فالساعي على الأرملة والمسكين ولو كان ذلك من غير ماله بمعنى أنه يقوم على شؤونها، ويكلم لها بعض من يحسن إليها فيعطيها شيئا من نفقه ونحو ذلك، فهذا يصدق عليه أنه ساع على الأرملة واليتيم، فهو كالمجاهد في سبيل الله وهذه مرتبة عالية جدًّا، فهو يسعى عليها ويقضي حوائجها ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ويكون كالقائم الذي لا يفتر ولا ينقطع وكالصائم الذي لا يفطر، والسعي على الأرملة والمسكين يعادل الصيام والقيام في الجزاء والثواب.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

وجه الشبه في هذا الحديث بين المجاهد والساعي على الأرامل والمساكين، كلاهما يقوم بالإحياء وكلاهما يقلب النفس والشيطان والهوى، إذ المجاهد يعمل على إحياء الدين والساعي يعمل على إحياء النفوس، يذود المجاهد في سبيل الله عن دينه في ميدان المعركة ويبدل نفسه وماله لله عز وجل، ويكد الساعي على الأرامل والمساكين في ميدان الحياة وتعب فهو يبذل ماله ووقته لا ليمنع نفسه أو أولاده، أو لينفق في البذخ واللذة، وإنما ليكفيهم حاجاتهم، ويرعى مصالحهم ويغنيهم عن ذل السؤال، طلبا لرضا الله عز وجل، فاشترك في البذل والعطاء ابتغاء مرضاة الله ورغبة فيما عنده، فكان الساعي في مرتبة المجاهدين ومنزلة المقربين.

تعدد المشبه في حديث الرسول ﷺووجود (أو) مفادها التخيير فالذي يسعى على الأرملة والمسكين فينفق عليها كالمجاهد في سبيل الله، هذه صورة، أو كالعابد المخلص في عبادته وفي صيامه وقيامه ودوامه على ذلك يشكل متواصل هذه صورة أخرى، وهاتان الصورتان جيء بهما للدلالة على عظيم ثواب المتصدق، كالأرملة التي فقدت زوجها ولم يعد هناك من يقف عليها، ولا من يقوم بحاجتها وكالمسكين الذي لا يكفيه ما عنده لسد حاجته الكثيرة.

**ج- الحجاج المنطقي:**

استخدم الرسولﷺ أعلى درجات التضحية وهي الجهاد بالنفس دلالة على أن منزلة الساعي من أعلى المنازل والمراتب درجة عند الله عز وجل لأن التضحية بالنفس من أحب الأعمال الله تعالى وأفضلها، أعد الله للمجاهدين والصادقين المنازل العالية والثواب الجزيل فالغنيمة العظيمة لمن يسعى في رعاية الأرامل والمساكين جبرا لضعفهم، وإصلاحا لشأنهم فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى وسيعى على أرمله أو مسكين لوجه الله، فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

**3-6-النموذج السادس:**

كان النبي ﷺأحسن الناس تعليقا فكان كثيرا ما يضرب الأمثلة البليغة الوجيزة، وفي حديثه يقول عليه السلام "در مثلي ومثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث

أصاب الأرض، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء" بعث الله نبيه ﷺوآتاه العلم والهدى فعلم وعلم وانتفع الناس بعلمه فهو كالشمعة تضيء لغيره.

**أ- الحجاج اللغوي:**

استدعى النبي ﷺلفظة الغيث في حديثه وسمي بذلك لما يتركه وسلم هو الآخر من أثر في الأرض، التي تكون بحاجة ماسة إليه فيغيثها ويحييها من جديد فضيع الهدى والعلم كضيع الغيث في التربة الكريمة.

قال في حديثه الغيث ولم يقل المطر لأن الرسول تشرب أسلوب القرآن فكان فطنا لمناسبة الألفاظ لمواقعها، لأن العيث فيه معنى المطر الحياة والرواء، لذلك يحمل معه الخصب للأرض.

واستعمل كلمة أصاب إشارة إلى أن الغيث لا يخطئ هدفه كذلك الهدى فمن تلبس به لا يزيغ به عن الطريق المستقيم.

ومن ألفاظ الحديث فكانت منها طائفة قبلت، فمن صفات الأرض النقاء وأنها طيبة كحال طائفة من الناس أصحاب القلوب الطيبة المتهيئة لحمل العلم والهدى، وكانت منها أجادب أي الأرض الجدية التي لا التي لا تنبت، المراد هنا الأرض التي لا تشرب لصلابتها، وهذا الحال طائفة أخرى من الناس بما عندهم من علم، نفعوا به الناس ولا لم ينفعوا به أنفسهم.

مقصود النبي ﷺهو تمثيل الهدى والعلم الذي جاء به ﷺبالغيث فالنوع الأول من الأرض تنتفع بالغيث فيحي بعد أن كان ميتا وينبت الكلأ فتنتفع به الناس والدواب والزرع فيحفظه فتحيا قلوبهم ويعملوا به. أما النوع الثاني من الأرض الجدبة ما لا تقبل الانتفاع لنفسها لكن فيها فائدة، وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب كذلك الناس لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم في العقل وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحتفظون به حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم، فهم أهل للنفع والانتفاع.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

استحضر النبي ﷺصورة من الواقع تشبه فيها الهدى والعلم بغيث كثير أصاب الأرض، فمنها ما تلقته بالقبول فنفعت وانتفعت، كحال كثير من تفقه في دين الله وتلقى الرسالة المحمدية والهدى النبوي. وشبه العلماء الذين منهم من غلب على علمهم الحفظ والإتقان ولكن ليس من شأنهم التفقه والتبصر واستنباط الأحكام، فهم كالأرض التي أمسكت الماء فهي لا تنفع نفسها، لكن تنفع به غيرها وتمدهم به. أتى بلفظتي الهدى والعلم معرفتين دلالة على أن لكل منهما معنى، وهو أن الهدى هو ما كان فيه منهج الله ورسوله وأن العلم الحق هو العلم الذي تنفع صاحبه في دينه ودنياه.

وهيمنة الجمل الفعلية في الحديث دلالة على أن الهدى النبوي والعلم الرباني ليس شيئا مجردًا ثابتا بل لهما حركة وأثر في الإنسان. ففي الحديث تشيله معقول، تشبيه الهدى والعلم بالغيث الكثير وتشبيه محسوس فهو شبه أحوال الناس بأحوال الأرض.

**ج- الحجاج المنطقي:**

العالم المتفقه في دين الله، والعامل بعلمه، والمعلم لغيره، هذا هو الطرق الأعلى للاهتداء، فالعلم والهدى لهما أثرا في النفس والعقل، فهما شيء معقول لا يدرك إلا من خلال أثره في سلوك الإنسان وفعله، لذلك يبقى أثرهما بتأثر الإنسان بالاهتداء والعمل بما يعمل فكان أحدهما نتيجة للآخر، فالعلم مقدمه للهداية والاهتداء، فالرسول ﷺيعلم هذه المعاني ويستحضرها قبل أن يلخص دعوته في أمرين هما: الهدى والعلم.

**3-7-النموذج السابع:**

شرح حديث مثل القائم على حدود الله والواقع «القائم في حدود الله وهنا القائم هو المستقيم على دين الله وترك للمعاصي ومحارمه، والواقع فيها اي الفاعل للأعمال السيئة\ أو الافعال.

كما أشرت في التوضيح المنهجي للدراسة أننا ننظر في جانب الحجاج في أحاديث الامثال عند النبي ﷺمن خلال ثلاثة انواع من الحجاج، أو نقل مستويات وهي الحجاج اللغوي، الحجاج البياني والحجاج المنطقي.

**أ_ الحجاج اللغوي:**

المعلوم أن الحجاج اللغوي يكون ضمنيا في مستويات الخطاب ومنها طبيعية الجمل والروابط وحروف المعاني ومنها من استعمل الجمل الاسمية والفعلية، الاسمية (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها) الفعلية (فقالوا لو أما خرقنا...) واستعمل حروف المعاني بكثرة في والكاف للمماثلة والمشابهة، واكله حروف كانت للجر والعطف مما تدل على ترابط الجمل وتماسكها، وكذلك منه استخدام ﷺ(مثل) وقد خصها من ادوات التشبيه وكما ذكرت أنها تفيد التشبيه ويكون عناصر التشبيه وهي المشبه والمشبه به، كما قال تعالى «تلك حدود الله فلا تقربوها»[البقرة–الآية187]. وكان نمط الحديث هو خبري لوجود الجمل الفعلية بكثرة، وهنا كان الحديث له معنى واضح ودقيق وكذلك له مغزى وعبر عن مقاصده.

**ب– الحجاج البياني والبلاغي:**

وهنا تذكرة علاقة المشبه بالمشبه به ومنها «مثل القائم في حدود الله و الواقع فيها مثله يقوم...على سفينة، والسفينة هي رمز النجاة من الغرق، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها» هنا قسمهم وقال: «وكان الذين في أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم» يعني إذا لم يمروا على من فوقهم لما استطاعوا أن يستقوا، «فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذي من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا» أي إذا خرقوا السفينة من تحتهم لهلكوا من فيها جميعا هم وغيرهم ومن بها، «وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» أي إن لم يخرقوها من تحتهم ينجوا هم ومن معهم .

**ج– الحجاج المنطقي:**

ونقصد به الجانب العقلي وهو ترتيب النبي ﷺوالذي بدأ القائم في حدود الله ثم الواقع فيها ردو هنا قدم مكانة القائم في حدود الله وهو الذي يقوم بواجباته والمستقيم في طريقه وعمله وأخر الواقع فيها نظرا لمكانته المنحطة وهو الذي يقع المعاصي والمنحرف عن الطريق الصحيح وفي الحديث ترتيب والذي ذكرته لأن في الحديث ترغيب للقيام بحدود الله وترهيب من مخالفة ذلك وقدم القيام بحدود الله وسماحة الترغيب الاسلامية انما ندعو للالتزام والامتثال لأمر الله ترغيبا في الفراغ قبل أن تحذر من عدم الالتزام لأمره ترهيبا في العقاب، والدليل قوله تعالى «ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما»[النساء– الآية 147].

**3-8- النموذج الثامن:**

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي ﷺقال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت». ونحن اعتمدنا على الحجاج في أحاديث الأمثال من خلال ثلاثة أنواع من الحجاج وهي الحجاج اللغوي، الحجاج البياني والحجاج المنطقي

**أ- الحجاج اللغوي:**

طبيعة الجمل: هي جملة إسمية وهي كالآتي (مثل الذي يذكر ربه) وكذلك (والذي لا يذكره مثل الحي والميت) ودلالة الجمل الإسمية الوصف وهنا وصف النبي ﷺ الذي يذكر الله وشبه بالحي الذي لايزال يعمل، والذي لا يذكر الله بالميت الذي انقطع عمله وهنا استعمل الحروف والروابط ومنها (الواو) والتي تسهم في ترابط الافكار حيث ربطت (الواو) بين الذاكر لله والغير ذاكر له.

كذلك من ادوات الحجاج اللغوي حيث استخدم النبي ﷺلفظة (مثل) وقد اختارها من بين مرادفاتها وذلك من أجل دقتها في المشابهة والتماثل دون غيرها من الأدوات الأخرى، وهنا كانت غلبة الجمل الإسمية للدلالة على الثبات وهنا الثبات على ذكر الله وعدم التخلي عليه لأنه من الأعمال الخيرية لله عز وجل.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

حيث شبه الرسول ﷺ الذي يذكر الله بالحي الذي لا تنقطع اعماله واستعمل الأداة التي تناسب هذا المقام من حيث الحديث لأنها الأدوات الدقيقة في التشبيه (مثل)، والذي لا ذكر الله بالميت لان الذي لا يذكر الله تعالى) لا تتضاعف أعماله وحسناته وكذلك العبد الميت فيتوقف عمله وينقطع عند موته مباشرة .

واستعمل ﷺبعض حروف المعاني منها حرف الواو وهو من ادوات الاتساق والانسجام كذلك حرف اللام وهنا استعملها للنفي وتفيد التضاد مثلا لدينا الذي يذكر ≠ لا يذكر وكذلك الواو تربط بين كلمتين هنا ربطت بين الحي والميت وهما كذلك متضادان (الحي ≠ الميت)

**ج- الحجاج المنطقي**

حيث وصف عليه الصلاة والسلام الذاكر لله والغير ذاكر لله وهنا تبين الغافل كالميت والذاكر كالحي وهذا تشجيعا وترغيبا في الذكر وينبغي للمؤمن ان يكون ذكر الله حتى يكون بعيد عن مشابهة الاموات فالغافل شبيه بالميت والذاكر شبيه بالحي ودليل ذلك قوله عز

وجل «وما يستوي الاحياء ولا الاموات»[سورة فاطر.22] ومنطقيا ان ﷺ بدأ حديثه بالذاكر لله لأنه ذو مكانه رفيعة عند الله وعند الناس عكس الغافل عن ذكر الله.

**د- النموذج التاسع:**

شرح حديث مثل البخيل والمنفق، الحديث صحيح وهو في البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع» متفق عليه.

وكما عرفنا سابقا في التوضيح المنهجي للدراسة في جانب الحجاج في أحاديث الأمثال عند النبي ﷺمن خلال ثلاثة أنواع من الحجاج وهي تتمثل في الحجاج اللغوي، والحجاج البياني، الحجاج المنطقي.

**أ- الحجاج اللغوي:**

نعلم سابقا أن الحجاج اللغوي يكون ضمنيا في مستويات الخطاب، منها طبيعة الجمل والروابط والحروف والأساليب كالنفي والاستفهام، وأول ملمح لغوي حجاجي في هذا الحديث هو استخدام الجمل الاسمية بدل الجمل الفعلية، لان الجمل الفعلية تبدأ بفعل وهنا في الحديث الذي أمامنا جميع الجمل تبدأ بحروف وأسماء، وهذا ما يناسب الحديث الذي أمامنا، وكونه أيضا وصفي وليس سردي لأنه يصف ويقارن لنا بين الرجل الكريم والرجل البخيل بصورة مكثفة جعل فيها النبي ﷺالرجل الكريم المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها.

فكلاهما مثل لابس جبة من حديد تقيد يديه إلى صدره، فالمنفق تتسع جبته وتتفكك حلقاتها الحديدية فتتحرر يداه، أما البخيل فتتضيق عليه الجبة وتزداد يداه التصاقا بصدره وعجزا عن الحركة.

والرسول عليه الصلاة والسلام يصور في هذا الحديث حال المتصدق وحال البخيل مستخدما لفظ مثل، الذي يعني الحال وليس أداة من أدوات التشبيه، أما أداة التشبيه هنا فهي

الكاف فيقارن ويوازن بينهما بدقة متناهية في إطار التشبيه الملفوف الذي يحتوي كما من المعاني السامية التي احتملها التأويل بأشكال منفردة.

**ب- الحجاج البياني والبلاغي:**

وفي هذا الحديث نذكر علاقة المشبه بالمشبه به ومنها أولا الرجل الكريم الذي ينفق تتسع عليه من كل جوانب الحياة وانه كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله، وكذلك تتسع جبته وتتفكك حلقاته الحديدية فتتحرر يداه.

وتماثل التشبيه ينطبق على البخيل انه مثل رجل يداه مربوطتان دون صدره، فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينهما وبين إن تمر إلى الأسفل على البدن، واجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته، فكانت ثقلا وشرا عليه من غير وقاية له وتحصين لبدنه، وكذلك فان صدره يضيق وتنقبض يده عن الإنفاق، كمن لبي جبة إلى ثدييه، فيبقى مكشوفا ظاهر العورة مفتضحا في الدارين حيث لا تطاوعه نفسه على البذل، فيبقى غير مكفر عنه الآثام فيكون معرضا للآفات والعذاب.

**3-الحجاج المنطقي:**

ضرب النبي ﷺمثلا للبخيل والمنفق، وصفهما برجلين على كل واحد منهما درع يستره ويقيه من الثدي إلى الترقوة وهي العظم الذي في أعلى الصدر، فأما المنفق كلما انفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفي رجليه واثر مشيه وخطواته وأما البخيل فكرجل ضاق عليه درعه حتى غلت يده اللي عنقه كلما أراد توسيعها واجتمعت ولزمت ترقوته.

# خاتمة

بعد عرض كل ما جمعناه من مادة علمية تخص بحثنا هذا، نلخص إلى استنباط أهم النتائج المتوصل إليها ونقسمها إلى نتائج نظرية وأخرى تطبيقية:

**1- النتائج النظرية:**

- يعدّ الحجاج أسلوبا تواصليا، وهو فن من فنون الإقناع.
- الحجاج عبارة عن عملية استعراض للأدلة والبراهين قصد الإشارة والتأثير.
- تؤدي اللغة وظيفة حجاجية، ولذلك فإن الحجاج سمة بارزة في اللغة. وعلى هذا الأساس، وجدنا الفلاسفة واللسانيين والبلاغيين على شتى مشاربهم يركزون بحثهم عليهما، بوصفها أداة الحجاج.
- ظهر الحجاج في التراث العربي مرادفا للجمل والحوار والبراهين، وهو آلية من آليات العملية التداولية.

**2- النتائج التطبيقية:**

- الحجاج في عهد النبي ما كان لابد منه لإقناع المتلقي لأنه جاء لتغيير وجهة نظر كانت سائدة.
- من خلال دراسة البينية في الأحاديث السابقة، تبين أن النبي ﷺ وظف هذا النوع من الصور البيانية، حتى يقنع أمته وخاطبيه بما يريد من خلال استخدام التمثيل في مخاطبتهم ﷺ لأهمية هذا النوع البلاغي في تأثيره على النفوس وإثارة الوجدان.
- قصارى ما توصلنا إليه في الدراسة الحجاجية للأحاديث السابقة أن أنواع الحجاج الثلاثة واردة فيها (الحجاج اللغوي)، (الحجاج البلاغي)، و(الحجاج المنطقي) هذا يكون على تفاوت في درجة استعمالها حسب كل حديث ويبقى لأهل الصنعة اللغوية وأرباب اللسانيات ودراسة متن الحديث من أهل الدراية الحديثة مجال في استنباط اللطائف والمدح والإشارات فيما يتعلق بالحجاج في الحديث النبوي الشريف.

# قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

**1- المصادر:**

1. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، (من الهمزة إلى آخر الظاء)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا.
2. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج 1، 2003م.
3. ابن منظور، لسان العرب، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003، مج2، مادة (ح ج ج).
4. أبو الحسن أبضد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، برقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، مج05- 297، 1979.

**2- المراجع:**

**أ- الكتب:**

1. أرسطو، الخطابة، تعريب عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، المقالة1، الفصل2.
2. آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016م.
3. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006.
4. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. دط. أفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
5. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2010.
6. حسن خميس الملح، الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2015.
7. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، دت.

8. حميد عبيدة، الحجاج في الفلسفة وتدريسها، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3.
9. حنان مرسلي، محي الدين زليخة، جمالية المثل في الحديث النبوي الشريف، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2018-2019.
10. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2008م.
11. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافة العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.
12. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، الناشر المركز الثقافي العربي، 1998.
13. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ط1، مسكيلياني للنشر والتوزيع، 2001.
14. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2، 2007م.
15. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
16. ابن فارس، مقاييس اللغة، د ط، تح: عبد السلام هارون، بيروت، لبنان، دار الجيل، د ت، مج2 ، مادة (ح ج ج).
17. لزمد توفيق أبو علي الأمثال العربية والعصر الجاهلي "دراسة برليلية"، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بتوت، لبنان، ط1، 1408ه/ 1988م.
18. لزمد جابر فياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، العهد العالدي الفكر الإسلامي سلسلة الرسائل الجامعية ط1، سنة 1414م.
19. مجلد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس والمحيط، دار الجيل، ج 4، 200.

20. محمد سالم محمدا لأمين، الحجاج في البلاغة النقد المعاصر، دار الكتب الجديدة، بيروت، ط1، 2008.
21. محمود سليم محمد هياجنه، مصطلح التمثيل عن عبد القهار جرجاني، كلية لعلوم والدراسات، جامعة شقراء، الدوادمي 2020-1441.

**ب- المجلات:**

1. حامد ناصر الظالمي، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد73، سنة 2015.
2. رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 2016م.
3. هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، الجزائر، ع5، 2005م.

# فهرس الموضوعات

شـــــكر وعرفـــان ..... 4

إهـــــــــــداء ..... 5

الملخص:..... 9

مقدمة.....أ-ج

**الفصل الأول: الحجاج مفاهيم عامة**

1- تعريف الحجاج:..... 5

2- نشأة مباحث الحجاج: ..... 8

3-أنواع الحجاج:.....10

4- علاقة الحجاج بالعلوم الأخرى:.....16

**الفصل الثاني: حجاجية التمثيل في الحديث النبوي الشريف**

1- تعريف المثل:.....22

2- تعريف الحديث النبوي الشريف: .....24

3- دراسة تطبيقية لحجاجية التمثيل في نماذج من الحديث النبوي الشريف: .....25

خاتمة.....26

قائمة المصادر والمراجع.....26

فهرس الموضوعات.....26